« فهرس المجلد الثامن عشر »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

الصفحة

كراهة توالي الامثال في ابنية العربية

الدكتور رمضان عبد التواب

تميل اللغة العربية الى التخلص من توالي المقاطع المتماثلة ، فتحذف واحداً منها ، وذلك هو ما يسميه الألمان : Haplologische Silbenellipse ويسميه اللغويون العرب بكراهة توالي الامثال .

ونقصد بالمقاطع المتماثلة ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الساكنة المتماثلة ، أو المتقاربة في المخارج . ويحدث ذلك في اول الكلمة ، او في وسطها ، او في آخرها . كما ان العربية تميل كذلك احياناً الى التخلص من توالي الاصوات المتماثلة ، ســواء أ كانت حركات ام اصواتاً ساكنة ، وإن لم تكن المقاطع متماثلة .

والسبب في هذا صعوبة تتابع المقاطع والاصوات المتماثلة في النطق . ويقول بروكلمان C. Brockelmann في كتابه « علم اللغات السامية » Semitische Sprachw issenschaft ٢٩/٩٢ : « إذا توالى مقطعان ، اصواتهما الساكنة متماثلة ، أو متشابهة جداً ، الواحد بعد الآخر في اول الكلمة ، فانه يكتفي بواحد منهما ، بسبب الارتباط الذهني بينهما » .

ويعـد « برجشتراسر » هذه الظاهرة من الترخيم ، فيقول في « التطـور النحوي » ١٥/٤٥ : « ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف ، وهو حذف أحد مقطعين متتاليين ، أولهما حرفان مثلان أو شبهان » .

ونشرح فيما يلي أنواع هذه الظاهرة في العربية :

١ — صيغ تفعَّلَ وتفاعَل وتفعلَلَ ، مع تاء المضارعة ، يتكرر فيها المقطع (ta) في

بدايتهما ؛ مثل : « تتقدم » و « تتقاتل » و « تتبختر » . وحذف أحد هذين المقطعين كثير الورود في العربية . وقول ابن مالك في ألفيته :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيـه على تا كتَـبَيَّـنُ العِـبر

(قد) فيه للتحقيق أو للتقليل النسبي ، كما يقول العيني ، على هامش الأشموني ٤/٣٥١ وقد ذكر الأشموني نفسه في الموضع السابق أن « هذا الحذف كثير جداً » .

وهـذه الظاهرة شائعة في القرآن الكريم ؛ فقد وردت فيه مثلاً كلمة « تذكَّرون » ١٧ مرة بالحذف ، في مقابل « تتذكَّرون » ٣ مرات بلا حذف ؛ ففيه : « لعلكم تذكَّرون » في الأنعـام ٦/٥٢ والأعراف ٧/٥٧ والنحل ١٦/٩٠ والنور ٢٤/١ ؛ ٢٤/٧ والذاريات ٥١/٤٩ وفيه : « فلو لا تذكَّرون » في الواقعة ٥٦/٦٢ كما ان فيه . « أفلا تذكرون » في يونس ١٠/٣ وهود ١١/٢٤ ؛ ١١/٣٠ والنحـل ١٦/١٧ والمؤمنون ٢٣/٨٥ والصافات ٣٧/١٥٥ والجاثية ٤٥/٢٣ في مقابل : « أفلا تتذكَّرون » في الأنعام ٦/٨٠ والسـجدة ٣٢/٤ وفيه : « قليلا ما تذكرون » في الأعراف ٧/٣ والنمل ٢٧/٦٢ والحاقة ٦٩/٤٢ في مقابل : « قليلا ما تتذكَّرون » في غافر ٤٠/٥٨ .

وفي القرآن كذلك . « هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين » الشعراء ٢٦/٢٢١ « تنزّل على كل أفاك أثيم » الشعراء ٢٦/٢٢١ « تنزل الملائكة والروح فيها » القدر ٩٧/٤ في مقابل « تتنزّل عليهم الملائكة » فصلت ٤١/٣٠ .

وفيه المضارع : « تولَّوا » خمس مرات في مقابل : « تتولوا » اربع مرات ؛ ففيه : « فان تولَّوا » في آل عمران ٣/٣٢ وهود ١١/٥٧ والنور ٢٤/٥٤ « وإن تولوا » في هود ١١/٣ « ولا تولَّوا » في الانفال ٨/٢٠ في مقابل : « وإن تتولوا » في محمد ٤٧/٣٨ والفتح ٤٨/١٦ « ولا تتولوا » في هود ١١/٥٢ « لا تتولوا » في الممتحنة ٦٠/١٣ .

كما أن فيه : « ولا تفرَّقوا » آل عمران ٣/١٠٣ بجانب : « ولا تتفرَّقوا » الشورى

١٣/٤٢ وفيه : « توفّاهم الملائكة » النساء ٩٧/٤ الى جانب : « تتوفاهم الملائكة » النحل ٢٨/١٦ .

وفيه إلى جانب ذلك كثير من الافعال التي ذكر كل واحد منها مرة واحدة بالحذف ؛ مثل : « فظلتم تفكّهون » الواقعة ٦٥/٥٦ « ولا تيمموا الخبيث » البقرة ٢٦٧/٢ « فتفرق بكم عن سبيله » الأنعام ١٥٣/٦ « وقل هل تربّصون » التوبة ٥٢/٩ « يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه » هود ١٠٥/١١ « ولا تبرجن » الأحزاب ٣٣/٣٣ « ولا أن تبدّل بهن من أزواج » الأحزاب ٥٢/٣٣ « مالكم لاتناصرون » الصافات ٢٥/٣٧ « ولا تجسسوا » الحجرات ١٢/٤٩ « أن تولّوهم » الممتحنة ٩/٦٠ « تكاد تميز من الغيظ » الملك ٨/٦٧ « لما تخيّرون » القلم ٣٨/٦٨ « فأنت عنه تلهّى » عبس ١٠/٨٠ « ناراً تلظّى » الليل ١٤/٩٢ « اذ تلقّونه بألسنتكم » النور ١٥/٢٤ « ولقد كنتم تمنّون الموت » آل عمران ١٤٣/٣ « وأن تصدّقوا خير لكم » البقرة ٢٨٠/٢ « ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » المائدة ٢/٥ « ولا تنازعوا فتفشلوا » الأنفال ٤٦/٨ « ولا تنابزوا بالألقاب » الحجرات ١١/٤٩ « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » الحجرات ١٣/٤٩ « تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان » البقرة ٨٥/٢ « وإن تظاهرا عليه » التحريم ٤/٦٦ وانظر في بعض هذه المواضع القرآنية كتاب « إعراب القرآن » المنسوب للزجاج ٨٤٩/٣ وما بعدها .

ومن أمثلة ذلك في النثر أيضاً قول ابن هشام في سيرة النبي (تحقيق السقا ١:٦٢١/٧):

« فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوّبُ من العقنقل » .

وهذا الحذف ضروري عند ما تتوالى ثلاثة مقاطع فيها التاء كما يقول رايت Wright في كتابه : A Grammar of The Arabic Language, P. 65 في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تتايعوا في الكذب، كما يتتايع الفراش في النار » بدلاً من « لا تتتايعوا » (النهاية لابن الأثير ٢٠٢/١) .

ومن أمثلة هذه الظاهرة في الشعر ما ورد في كتاب العين للخليل بن أحمد (١٢٢/١) من قوله :

« وتهرعت الرماح إليه ، إذا أقبلت شوارع . قال :

عند الكريهة والرماح تهرَّعُ

أراد تتهرَّعُ » .

كما وردت في قول بشر بن أبي خازم (ديوانه ق ٧/٤ ص ٣٥) :

فكأن ظعنهم غداة تحملوا سفن تَكَفَّأ في خليج مغرب

وقول المثقب العبدي (الخصائص ٣٩٨/١) :

لمن ظعن تَطالَعُ من ضبيب فما خرجت من الوادي لحين

وقول مالك بن الريب (نوادر القالي ١٥/١٣٨) :

ولا تنسيا عهدي خليلي بعد ما تَقطَّعُ أوصالي وتبلى عظاميا

وقول كعب بن زهير (ديوانه ٨/٦) :

فما تدوم على حال تكون بها كما تلوَّنُ في أثوابها الغول

وما تمسَّك بالوصل الذي زعمت إلا كما يمسك الماء الغرابيل

وقول طفيل الغنوي (ديوانه ق ٢/١٣ ص ٢٢) :

إذا خرجت يوماً أعيدت كأنها عواكف طير في السماء تَقلَّبُ

وقول حرقة بنت النعمان (الحماسة بشرح المرزوقي ق ٢/٤٤٩ جـ ١٢٠٣/٣) :

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تَقلَّبُ تارات بنا وتصرَّفُ

وفي كل ما سبق من الأمثلة ، لا يهمّ تعيين المحذوف ، والقول بأنه المقطع الآول أو الثاني ، كما أتعب اللغويون انفسهم في هذا المجال ، وحاولوا إقامة الأدلة النظرية على وجهة نظرهم ؛ يقول صاحب إعراب القرآن ٨٤٩/٣ : « .. وأصله تتذكرون ، فحذفت إحدى التاءين ، والمحذوفة الثانية ؛ لأن التكرار بها وقع ، وليس الأول بمحذوف ؛ لأن الاول

علامة المضارعة ، والعلامات لا تحذف » . كما يقول شارح كتاب « مراح الأرواح في علم الصرف » ١/٥٠ : « وتحذف التاء الثانية جوازاً في مثل تتقلد وتتباعد وتتبختر ، أي فيما اجتمع فيه تاءان في أول مضارع تفعّل وتفاعل وتفعلل ، وذلك حال كونه فعل المخاطب أو المخاطبة ، مفرداً أو مثنى أو مجموعاً ، والغائبة المفردة والمثناة دون المجموع ، إحداهما حرف المضارعة ، والثانية تاء الباب . واختلف في المحذوف ، فذهب البصريون الى أنه هو الثانية ؛ لان الاولى حرف المضارعة ، وحذفها مخلّ - على ما حكى عن المبرد - . وذهب الكوفيون إلى أنه هو الأولى ؛ لأن الثانية للمطاوعة ، وحذفها مخلّ ، ولأنها زائدة ، وحذفها أهون . واختار المصنف مذهب البصريين ؛ لأن رعاية كونه مضارعاً أولى ؛ لان الغرض من الاشتقاق ، إنما هو الدلالة على اختلاف المعنى ، باختلاف الصيغ ، وأما المطاوعة وسائر معاني الأبواب ، فإنما هي بعد هذا الغرض ، ولأن الثقل إنما يحصل عند الثانية . وأما إثبات التاءين فهو الأصل ؛ لدلالة كل واحد منهما على معنى » .

ومع أن سيبويه قال في كتابه (١/٤٢٥) : « فان التقت التاءان في : تتكلّمون ، وتترّسون ، فأنت بالخيار ، إن شئت اثبتهما ، وإن شئت حذفت إحداهما » إلا أنه عاد فقال بعد ذلك مباشرة : « وتصديق ذلك قوله عز وجل : تتنزّل عليهم الملائكة ، وتتجافى جنوبهم . وان شئت حذفت التاء الثانية . وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى : تنزّل الملائكة والروح فيها ، وقوله : ولقد كنتم تمنّون الموت . وكانت الثانية اولى بالحذف ؛ لأنها هي التي تسكن وتدغم في قوله تعالى : فادّارأتم ، وازّينت ، وهي التي يفعل بها ذلك في : يذّكّرون . فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك » . والظاهر ان عبارة : « وإن شئت حذفت إحداهما » مضافة إلى نص سيبويه ، وهي ليست منه !

٢ — نون الأفعال الخمسة (يفعلون وتفعلون ويفعلان وتفعلان وتفعلين) مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب . وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة قبل هاتين الحالتين . وهذه الظاهرة كثيرة الورود في الشعر ؛ مثل قول الأعشى

(أمالي ابن الشجري ١/٣٦٢ والكامل للمبرد ٢/١٤٢ والمنصف لابن جني ٢/٣٣٧) :

أبالموت الذي لابد أني ملاق لا أباك تخوفيني

أي : تخوفينني . وكذلك قول عمرو بن معد يكرب (سيبويه ٢/١٥٤ والمنصف لابن جني ٢/٣٣٧ والفصول والغايات للمعري ٣٤/٥) :

تراه كالثغام يعل مسكاً يسوء الغاليات إذا فليني

أي : فلينني . وكذلك قول جميل (الأغاني ٨/١٠٩) :

أيا ريح الشمال أما تريني أهيم وأنني بادي النحول

أي : تريننى . وكذلك قول ابن مقبل (ديوانه ق ٤١/١٠ ص ٣١٩) :

عرجت فيها أحييها وأسألها فكدن يبكينني شوقاً ويبكينا

أي : يبكيننا . أما قول الشاعر (المنصف لابن جني ٢/٣٣٧) :

انظر قبل تلوماني إلى طلل بين النقا فالمنحنى

فقد قال فيه ابن جني : « يريد : تلومانني ، فيجوز أن يكون حذف (أن) وهو يريدها ، كأنه قال : قبل أن تلوماني ، فحذف النون للنصب ، لأنه قد اضاف (قبل) ، وحكم الاضافة ان تكون الى الأسماء ، فاذا اضمر (أن) فكأنه قال : قبل لومكما . ويجوز ان يكون اضاف (قبل) الى الفعل ، لانها ظرف ، فجرت مجرى : اقوم يوم يقوم زيد ، ثم حذف النون الثانية تخفيضاً » .

وهذا القول الاخير يدل على وجهة نظر ابن جني في أن المحذوف هنا هو النون الثانية ، او بعبارة اخرى : المقطع الثاني . وقد عبر عن ذلك مرة اخرى بصراحة عند ما قال (المنصف ٢/٣٣٨) : « يريد (فلينني) فحذف النون الآخرة ، كما حذفها من (تخوفيني) . وكانت الآخرة أولى بذلك في تخوفيني ، لأن الاولى علم الرفع ، والثانية إنما كانت جيء بها في الواحد ، ليسلم حرف الإعراب من الكسر ، ويقع الكسر عليها ، فتركت في الجمع على حد ما كانت عليه في الواحد ، فلما اضطر في الجمع حرك النون التي هي علم الرفع ،

بالكسر ، ولم يمتنع من ذلك ؛ لأنها ليست حرف الإعراب فيكره فيها الكسر » .

ومن امثلة النثر قول ابن هشام (نشر فستنفلد ٨/٤٥٨) : « ما الذي تهنئونا به » وقد صححت في نشرة السقا (١/٦٤٣) فجعلت : « ما الذي تهنئوننا به » !

وكذلك قول ابن هشام (فستنفلد ١٢/٥١) : « فقال لهم : أفلا تعطوني » . وفي نشرة السقا (١/٧٧) : « أفلا تعطونني » !

وفي الأغاني (بولاق) ٥ : ٢٠/١٢٦ « فأخبراه أنها لا يعرفاني » . وفيها كذلك (٧ : ٨٤ / ٢٢) : « ألا تجزينيه » . وفيها أيضاً (٢٠ : ٣١/١٥٣) : « هل لكِ في يد تُولينيها ؟ » .

وفي عيون الأخبار ١ : ١٣/٢٩٣ : « لِمَ تزعجوني من جواركم ؟ » .

وفي تفسير الطبري (٨/٥١٠) على لسان رجل من بني النضير : « كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسقا ، ونقتل منهم ، ولا يقتلونا » .

وفي حديث رواه البخاري ، في الباب الخامس عشر من كتاب الشهادات في صحيحه ، على لسان عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك ، أنها قالت : « ولئن قلت لكم إني لبريئة ، والله يعلم أني لبريئة ، لا تصدقوني بذلك » .

ومن النصوص المتأخرة قول أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار (١/٢٦) : « فكانوا يقاتلونا النهار كله » .

هذا الى أن ابن هشام يقول في مغنى اللبيب (٢/٣٤٤) وهو يتحدث عن نون الوقاية : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك ، والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن في السبعة . وعلى الأخيرة ، فقيل : النون الباقية نون الرفع ، وقيل : نون الوقاية ، وهو الصحيح » .

وعلى الرغم من أن مرسوم المصحف في هذه الآية : « قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون » (الزمر ٣٩/٦٥) بنون واحدة ، فقد قرأها « ابن عامر : تأمرونني

أعبد ، بنونين الأولى مفتوحة ، ونافع بواحدة مخففة ، والباقون بواحدة مشددة » كما يقول الداني في كتابه : التيسير في القراءات السبع (١٩٠/٨) .

٣ — إنّ وأنّ ولكنّ وكأنّ ولعلّ ، مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب .

يقول ابن هشام في مغني اللبيب (٣٤٤/٢) وهو يتحدث عن نون الوقاية : إنها تلحق قبل ياء المتكلم المنتصبة بالحرف « نحو : إنني . وهي جائزة الحذف مع إنّ وأنّ ولكنّ وكأنّ ، وغالبة الحذف مع لعلّ ، وقليلته مع ليت » .

أما أن ذلك غالب في (لعلّ) ؛ فلأن اللام تشبه النون في أنهما من الاصوات المائعة Liquida . ومن أمثلة ذلك قول جميل بن معمر العذري (الحماسة البصرية ١٨٩/٢) :

فقالت لَعَلّنا يا جميل نبيعه وآجالنا من دون ذلك قريب

وقول الفرزدق (ديوانه نشر الصاوي ٨٣٥/٧) :

ألستم عائجين بنا لَعَنَّا نرى العرصات أو أثر الخيام

وقد روى هذا البيت الأخير في القلب والإبدال لابن السكيت (١٥/٣٣) « لَغَنَّا » بالغين المعجمة ، على أنها لغة في « لعل » عن الأصمعي . وفي لسان العرب (لغن) ٢٧٥/١٧ : « ولغنّ لغة في لعلّ . وبعض بني تميم يقولون : لغنّك بمعنى لعلّك » ثم ذكر بيت الفرزدق . وإبدال الغين من العين صعب التفسير من الناحية الصوتية ، ولعله تصحيف قديم لبيت الفرزدق ، وإن خلا ديوانه منه !

وأما قلة ذلك مع « ليت » فلأنه لايوجد في هذه الحالة مقطعان متماثلان ، أومتقاربان وإنما سبب حذف النون معها هو الضرورة ؛ ولذلك لا نجد لها امثلة إلا في الشعر ؛ كقول زيد الخيل (سيبويه ٣٨٦/١ والمقتضب ٢٥٠/١) :

كمنية جابر إذ قال ليتي أصادفه ويهلك جل مالي

ويقول الجوهري في الصحاح (أنن) ٢٠٧٣/٥ : « وإني وإنني بمعنى ، وكذلك كأني

وكأني ، ولكني ولكنني ؛ لأنه كثر استعمالهم لهذه الحروف ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوا النون التي تلي الياء ، وكذلك لعلي ولعلني ؛ لأن اللام قريبة من النون » .

ويقول المبرد في المقتضب (٢٤٩/١) : « فالذي ذكرنا مما يحذف قولك : إنني، وكأنني ، ولعلني ، لأن هذه الحروف مشبهة للفعل مفتوحة الأواخر ، فزدت فيها النون ، كما زدتها في الفعل لتسلم حركاتها . ويجوز فيهن الحذف ، فتقول : إني وكأني ولكني » .

والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم ؛ ففيه مثلاً بالحذف لاغير : « وأنّا » ٨ مرات « فإني » ٦ مرات « أنّا » ١٠ مرات « فإنا » ١٠ مرات « ولكني » ٤ مرات « ولكنا » مرتين « لعلي » ٦ مرات . وفيه كذلك : « أنا » ١٧ مرة في مقابل « أننا » مرة واحدة ؛ « بأنا » مرتين ، في مقابل « بأننا » مرة واحدة ؛ « إني » ١٢٤ مرة ، في مقابل « إنني » ٦ مرات ؛ « وإني » ١٣ مرة ، في مقابل « وإنني » مرة واحدة ؛ « إنا » ٥٣ مرة ؛ في مقابل « إننا » ٥ مرات ؛ « وإنا » ٢٣ مرة ، في مقابل « وإننا » مرة واحدة (انظر : نجوم الفرقان في اطراف القرآن لفلوجل : G. Flugel, Congordantiae Corani Arabicae ليبزج ١٨٩٨ صفحة ٢٠ ؛ ٢١ ؛ ٢٢ ؛ ١٧٣ ؛ ١٧٤) .

٤ — الأفعال الخمسة ، إذا اتصل بها نون التوكيد . والحذف هنا لازم مطرد في العربية .

يقول ابن عقيل في شرح الألفية (٣١٥/٢) : « الفعل المؤكد بالنون ، إن اتصل به ألف اثنين ، أو واو جمع ، أو ياء مخاطبة ـ حرك ما قبل الألف بالفتح ، وما قبل الواو بالضم ، وما قبل الياء بالكسر . ويحذف الضمير إن كان واواً أو ياء ، ويبقى إن كان ألفاً ؛ فتقول : يا زيدان هل تضربانِّ ، ويازيدون هل تضربُنَّ ، ويا هند هل تضربِنَّ . والأصل : هل تضربانِنَّ ، وهل تضربونَنَّ ، وهل تضربينَنَّ ؛ فحذفت النون لتوالي الامثال ، ثم حذفت الواو والياء لالتقاء الساكنين ، فصار : هل تضربُنَّ ، وهل تضربِنَّ . ولم تحذف

الألف لخفتها ، فصار : هل تضربانِّ . وبقيت الضمـــة دالة على الواو ، والـكسرة دالة على الياء » .

كما يقول سيبويه (٢/١٥٤) : « وإذا كان فعل الجميع مرفوعاً ، ثم ادخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة ، حذفت نون الرفع . وذلك قولك : لتفعلُنّ ذاك ، ولتذهبُنّ ، لأنه اجتمعت فيه ثلاث نونات ، فحذفوها استثقالاً . وتقول : هل تفعلُنّ ذاك ، تحذف نون الرفع ، لأنك ضاعفت النون ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوها إذ كانت تحذف وهم في ذا الموضع أشد استثقالاً للنونات ، وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا » .

هـذا ويعلل المبرد لذهاب النون هنا بتعليل غريب ، فيرى أن النـون حذفت ، لـكي تـكون نظيراً للفتح في الفعل المسند للواحد ، فيقول (المقتضب) ٣/٢٠) : « فاذا ثنيت ، أو جمعت ، أو خاطبت مؤنثـاً ـ فان نظير الفتح في الواحد حذف النون مما ذكرت لك . تقول للمرأة : هل تضربِنّ زيداً ولا تضربِنّ عمراً ، فتكون النون محذوفة ، التي كانت في تضربين ، ألا تري أنك إذا قلت : لن تضربَ يافتى ، قلت للمرأة إذا خاطبتها : لن تضربي ، وكذلك لن تضربا ، ولن تضربوا للاثنين والجماعة ، فحذف النون نظير للفتحة في الواحد » !

٥ ـ كلمة « بَنِي » الداخلة على اسم معرف باللام القمريـــة ، مثل : بَلْحارث ، وبَلْهَجيم ، وبَلْعَنبر ، وبَلْقَين ، يعني : بني الحارث ، وبني الهجيم ، وبني العنبر ، وبني القين .

وذلك كثير الورود في كتب التراث العربي ، فض تـاريخ الطبري (١ : ٧/٦١٦) : « وأقبل رجلان أخوان من بَلْقَين ، يقال لهما : مالك وعَقيل » .

وفي كتاب الطبقات لابن ســعد (ليدن ١٩٠٩) في القسم الاول من الجزء الثاني ٤٥/٨ : « قالوا : إن بَلْمُصْطَلق من خزاعة » .

كما تبدأ حماسة أبي تمام بقوله : « قال بعض شعراء بَلْعَنْبر » .

ويقول سيبويه في ذلك (٢/٤٣٠) : « ومن الشاذ قولهم في بنى العنبر وبني الحارث :

بالعنبر وبلحارث ، بحذف النون ، وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، فأما اذا لم تظهر اللام فيها ، فلا يكون ذلك ؛ لأنها لما كانت مما كثر في كلامهم ، وكانت اللام والنون قريبتي المخارج حذفوها » .

ويقول المبرد في المقتضب (١/٢٥١) : « ومما حذف استخفافاً ؛ لأن ما ظهر دليل عليه ، قولهم في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل : بني الحارث ، وبني الهجيم ، وبني العنبر ؛ هو بلعنبر وبلهجيم ؛ فيحذفون النون النون لقربها من اللام ؛ لأنهم يكرهون التضعيف، فإن كان مثل بني النجار والنمر والتيم ، لم يحذفوا ؛ لئلا يجمعوا عليه علتين: الإدغام والحذف » .

ويقول في الكامل (٣/٢٩٩) : وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فإنهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك : (بنو) ؛ لقرب مخرج النون من اللام ؛ وذلك قولك : فلان من بلحارث وبلعنبر وبلهجيم » .

كما يقول في الكامل (٣/٣٦٠) أيضا : « ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا القيت لام المعرفة ظاهرة ؛ فيقولون في بني الحارث ، وبني العنبر ، وما أشبه ذلك : بلحارث ، وبلعنبر ، وبلهجيم » .

ويقول الزجاجي في الجمل (٥/٣٨١) : ومن الشاذ قولهم في بني الحارث وبني العنبر: بلحارث ، وبلعنبر ، فيحذفون النون . وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة».

كما يقول الجوهري في الصحاح (حرث) ١/٢٧٩ : «وقولهم : بلحارث ، لبني الحارث ابن كعب ، من شواذ التخفيف ؛ لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام ؛ لسكون اللام حذفوا النون ... وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ؛ مثل : بلعنبر وبلهجيم . فإذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك » .

وأخيراً يقول ابن يعيش في شرح المفصل (١٠/١٥٥) : « ومما حذف استخفافاً على غير قياس ، لأن ما ظهر دليل عليه ، قولهم في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، ولا تدغم ؛

نحو بني العنبر ، وبني العجلان ، وبني الحارث ، وبني الهجين : هؤلاء بلعنبر وبلعجلان وبلحارث وبلهجين . فحذفوا النون لقربها من اللام ، وهم يكرهون التضعيف ، إذ الياء الفاصلة تسقط ؛ لالتقاء الساكنين ، ولا يفعلون ذلك في بني النجار ، وبني النمر ، وبني التيم ؛ لئلا يجمعوا عليه إعلالين : الإدغام والحذف » .

٦ — ومثل ما سبق دخول حرف الجر « على » على معرف بأل القمرية ؛ مثل قول الفرزدق (ديوانه ٢١٦ والمقتضب ١/٢٥١ والجمل للزجاجي ٣٨١ وشرح المفصل ١٠/١٥٥ وأمالي ابن الشجري ٢/٤) :

وما سبق القيسيَّ من ضعف حيلة ... ولكن طفت عَلْمَاءِ قُلفة خالد

وكذلك قول قطرى بن الفجاءة (الكامل للمبرد ٣/٢٩٩ وأمالى ابن الشجرى ١/٩٧ ، ٢/٤٠ والحماسة البصرية ١/٩٧ مع اختلاف) :

غداة طفت عَلْماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم

يريد في البيتين : « على الماء » . وكذلك قول الشاعر (المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ٤/٦٦) :

والموت خير لامرىء من حياته ... بدارة ذل عَلْبَلايا يوقّر

يريد : « على البلايا » .

ويقول سيبويه في آخر كتابه (٢/٤٣٠) : « ومثل هذا قول بعضهم : عَلْماء بنو فلان ، فحذفوا اللام ، يريد : على الماء بنو فلان ، وهي عربية » .

ويرى ابن الشجري أن هذا الحذف للتخفيف ؛ فيقول في أماليه (٢/٤) : « ومما حذفوا من الحروف لاجتماعها مع لام التعريف ، لام (على) فيما حكاه سيبويه من قولهم : علماء بنو تميم ، يريدون : على الماء ، فهمزة الوصل سقطت في الدرج ، وألف (على) سقطت لسكونها وسكون لام (الماء) ، وحذفت لام (على) تخفيفاً » (وانظر كذلك شرح بن يعيش للمفصل ١٠/١٥٥)

وقد طرد الباب على وتيرة واحدة في العامية ، فأصبح يقـال فيها : (عَلْباب) و (عَلْمكتب) ، كما يقال فيها : (عَ السطح) و (عَ التراب).. الخ .

٧ — ويشبه ما سبق كذلك دخول حرفي الجر « من » و « عن » على معرف بأل القمرية ؛ ففي لسان العرب (من) ٣١٢/١٧ : « قال أبو اسحق : ويجوز حذف النون من (من) و (عن) عند الألف واللام ؛ لالتقاء الساكنين . وحذفها من (من) أكثر من حذفها من (عن) ؛ لأن دخول (من) في الكلام أكثر من دخول (عن) » .

ومن أمثلة ذلك قول ابن ميادة (شرح الحماسة للمرزوقي) ق ١/٥٥١ جـ ١٣٥٥/٣ وشرح المضنون به على غير أهله ٢٥٢ والحماسة البصرية ١١٠/٢) :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها ... وأدمعها يذرين حشو المكاحل

وقد كثر ذلك في شعر عمر بن أبي ربيعة ، فمن ذلك قوله (ديوانه نشر شفارتس ق ٨/٥٦ ص ٥٠) :

فلم أنس ملأشياء لا أنس نظرتي ... إليها وتِرْبَيْها ونحن لدى سَلع

وقوله (ديوانه ق ٣/١٦٨ ص ١٢٢) :

فما أنس ملأشياء لا أنس موقفي ... وموقفها وَهْناً بقارعة النخل

وقوله (ديوانه ق ٤/١٧٧ ص ١٢٧) :

وما أنس ملأشياء لا أنس مجلساً ... لنا مرّة منها بقَرن المنازل

وقوله (ديوانه ق ٩/٨٣ ص ٦٧) :

فلآن لمت النفس بعد الذي مضى ... وبعد الذي آلت وآليت من قَسَمْ

وقوله (ديوانه ق ٤/٢٥٢ ص ١٧٤) :

فلآن ينْ الصبرُ نفسيَ أو تَمُتْ ... إذا انبتّ حبل من حبالكِ فانقضب

وقوله (ديوانه ق ٣/٥١ ص ٤٤) :

وتعلم أن لهـا عندنا ... ذخائر ملحُبّ لا تظهر

وقوله (ديوانه ق ٢٢٣/٧ ص ١٦٠) :

تَجيئَيْن نقضي اللهو في غير مَحْرَم ولو رغمت مِلْكاشِحين المعاطس

وقوله (ديوانه ق ٨٧/١٧ ص ٦٩) :

عشية رحنا مِلْغَميم وصحبتي تخبّ بهم عيس لهنّ رسيم

ومثل ذلك أيضاً قول الشاعر (شرح ابن يعيش ٣٥/٨ والأشباه والنظائر للسيوطي ٢٠١/١ وأمالي ابن الشجري ٩٧/١ ، ٣٨٦/١ واللسان (من) ٣١٢/١٧) :

أبلغ أبا دختنوس مألكة غير الذي قد يقال ملكذب

ومثل قول الآخر (شرح ابن يعيش ٣٥/٨ والأشباه والنظائر للسيوطي ٢٠١/١ وأمالي ابن الشجري ٣٨٦/١) :

كأنهما ملآن لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدنا عصر

ومثل قول النابغة الجعدي (المعمرون والوصايا ٨٢) :

ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت أُعدُّ ملفتيان

ومثل قول النابغة الجعدي كذلك (المعمرون والوصايا ٨٢) :

ولبست ملإسلام ثوباً واسعاً من سيبِ لا حَرِمٍ ولا منّان

ومثل قول أعشى بن قيس ثعلبة (المعمرون والوصايا ٨٧) :

وأحكم من قس وأجرأ ملّذي بذي الفيل من خَفّان أصبح حاردا

ومثل قول عروة بن الورد (ديوانه نشر نولدكه ق ٩/٢ ص ٢٢ وتهذيب الألفاظ ٤٩١/١٢) :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها لجارتها ما إن يعيش بأحورا

ومثل قول فضالة بن زيد العدواني (المعمرون والوصايا ١٠٤) :

وكان سليطا مقولي متنـاذرا شذاه فصرت اليوم مِلعيّ أبكما

ومثل قول القتال الكلابي (ديوانه ق ١٦/٣ ص ٤٩ ومعجم البلدان [ليدن] ٢٦٣/٢ ؛ ٦٣٧/٣) :

وما أنس ملأشياء لا أنس نسوة طوالع من حَوْضَى وقد جنح العصر

ومثل قول ذي الإصبع العدواني (المفضليات نشر لايل ق ٢٩/٦ ص ٣١٣) :

أجعل مالي دون الدنا غرضاً وما وهي ملأمور فانصدعا

ومثل قول الراجز (الحماسة البصرية ٤٠٤/٢) :

لو يستطيع فديـة فداكِ بنفسه ملموت إن أتاكِ

ومثل قول الحارث بن خالد المخزومي (الكامل للمبرد ٢٦٠/٣) :

عاهد الله إن نجا ملمنايا ليعودنّ بعدها حُرْمِيًّا

ويقول المبرد هنا : « وقوله : ملمنايا ، يريد : من المنايا ، ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام ، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما . ومن كلام العرب أن يحذفوا النون ، إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة » .

ومثل قول العرجي (الأغاني ٣٩٩/١) :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها لخادمها قومي اسألي لي عن الوتر

ومثل قول عمرو بن السّليح (الأغاني ١٤١/٢ وأمالي ابن الشجري ٩٦/١) :

دلفنا للأعاجم من بعيد بجمع ملجزيرة كالسعير

ومثل قول عدي بن زيد (ديوانه ١٣٩ والشعر والشعراء ٢٣٢/١ والأغاني ١٥٠/٢) :

يسارقن ملأستار طرْفاً مفتّراً ويبرزن من فَتق الخدور الاصابعا

ومثل قول أبي قيس بن الأسلت (السيرة النبوية لابن هشام ٥٩/١) :

فولوا سراعاً هاربين ولم يؤب إلى أهله ملجيش غير عصائب

ومثل قول عمرو بن كلثوم (الحماسة بشرح المرزوقي ق ١٦٠/٣ ص ٤٧٦ وأمالي ابن الشجري ٩٧/١) :

فما أبقت الأيام ملمال عندنا سوى جذم أذواد محذّفة النّسل

ومثل قول تأبط شرا (الحماسة بشرح التبريزي ص ٣٨٤) .

فادّركنا الثأر منهم ولما ينجُ ملحيّين إلا الأقلّ

ومثل قول الشاعر (لسان العرب (منن) ٣١٢/١٧) :

ألا أبلغ بني عوف رسولا فما ملآنَ في الطير اعتذار

ومثل قول جميل بن معمر العذري (الحماسة البصرية ١٠٦/٢) :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوى أمصر تريد

٨ — الفعل « استطاع » ومضارعه في قوله تعالى : « فما اسطاعوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له نقبا » (الكهف ٩٧/١٨) ؛ وقوله تعالى : « ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً » (الكهف ٨٢/١٨) .

ويقول ابن السكيت في « القلب والإبدال » ٤٦/٦ : « ويقال : ما استطيع وما أسطيع وما استيع ، بمعنى واحد » .

ومن أمثلة ورود ذلك في الشعر قول عدي بن زيد العبادي (الحماسة البصرية ٤٩/٢) :

ولا تقصرن عن سعي من قد ورثته فما اسطعت من خير لنفسك فازدد

وقول العباس بن مرداس (تهذيب الالفاظ ٧/٢٦) :

تأبى رفاعة مولاها وأنفسها أن يسلموني ولا يُسْطاع

وقول المرار (المستقصى في الامثال للزمخشري ٨٢/٢) :

ويرى دوني فلا يسطيعني خوط شوك من قتاد مسمهرّ

وقول يحيي بن زياد الحارثي (الحماسة بشرح المرزوقي ق ٢٨١/٣ جـ ٨٦١/٢) :

دفعنا بك الايام حتى إذا أتت تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

٩ — مصغر « ابن » عند إضافته الى ياء المتكلم . وهذا الحذف لازم ؛ إذ يقال دائماً : « بُنَيَّ » واصله : « بُنَيِّيَ » .

١٠ — مثال : « مَيِّت » و « هيِّن » و « ليِّن » ونحوها ؛ إذ تخفف أحياناً ، فيقال : « مَيْت » و (هَيْن » و « لَيْن » ، وهذا معناه حذف المقطع (yi) فراراً من تكرار الياء .

وقد وردت كلمة « أيِّم » بالتخفيف في بيت العجاج :

وبطن أيْم وقواماً عُسلجا

وقال عنه ابن السكيت في كتابه « القلب والإبدال » ٥/١٧ : « والأصل : أيِّم ، خُفف نحو : ليِّن وليْن ، وهيِّن وهيْن » .

١١ — عبارة : « أيمُنُ الله » يقال فيها : « أيْمُ الله » .

١٢ — كلمة « لِلّه » يقال فيها : « لاه » في مثل قول ذي الاصبع العدواني (الاغاني ١٠٥/٣ والمفضليات ق ٣١/٤ ص ١٦٠ والاقتضاب ٤٤١ وشرح شواهد المغني ١٥/١٤٧ وأمالي القالي ٢٦٠/١) :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب … عني ولا أنت دياني فتخزوني

ويقول الجوهري في الصحاح (ليه) ٢٢٤٨/٦ : « أراد : لله ابن عمك ، فحذف لام الجر واللام التي بعدها » .

١٣ — الفعل المضارع اذا كان نوني الفاء ، وهو مسند لجماعة المتكلمين . وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وكذلك نُجّي المؤمنين » (الانبياء ٨٨/٢١) في قراءة ابن عامر وعاصم (التيسير للداني ١٥٥) . وفي الآية تخريجات أخرى واهية ، ذكرها ابن هشام في « أوضح المسالك » ٢٩٣ حين يقول : « وقد يجيء هذا الحذف في النون . ومنه على الأظهر قراءة ابن عامر وعاصم : وكذلك نُجِّي المؤمنين ، أصله : نُنَجِّي ، بفتح النون الثانية — وقيل الاصل : نُنْجي ، بسكونها ، فأدغمت كإجاصة ، وإجانة . وإدغام النون في الجيم لا يكاد يعرف . وقيل : هو من نجا ينجو ، ثم ضعّفت عينه ، وأسند لضمير المصدر . ولو كان كذلك لفتحت الياء ؛ لأنه فعل ماض » .

وهذا التخريج الثالث في كلام ابن هشام ، هو الرأي الوحيـد عند الفراء في كتابه « معاني القرآن » (٢/٢١٠) عند قوله : « وقد قرأ عاصم - فيما أعلم : نُجِّي ، بنون واحدة ونصب (المؤمنين) كأنه احتمل اللحن ، ولا نعلم لها جهة الا تلك ؛ لأن ما لم يسم فاعله ، اذا خلا باسم رفعه ، الا أن يكون أضمر المصدر في نجّي ، فنوى به الرفع ، ونصب (المؤمنين) ، فيكون كقولك : ضُرب الضربُ زيداً ، ثم تكنى عن الضرب ؛ فتقول : ضُرِب زيداً ، وكذلك : نُجّي النجاءُ المؤمنين » .

وقد ردّ ابن جنى هذا الرأي الذي ارتآه الفراء ، على النحو الذي قدّمه ابن هشام من قبل ؛ فقال في « الخصائص » (١/٣٩٨) : « وأما قراءة من قرأ : وكذلك نُجّي المؤمنين ، فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ، ونصب المفعول الصريح ؛ لأنه عندنا على حذف احدى نوني (نُنَجّي) ، كما حذف ما بعد حرف المضارعة في قول الله سبحانه : « تذكَّرون » أي : تتذكرون . ويشهد أيضاً لذلك سكون لام (نُجّي) ، ولو كان ماضياً لانفتحت اللام الا في الضرورة » .

وقد أورد ابن الشجري معظم هذه الاقوال في اماليه ، ثم قال (٢ : ٢١٦/٢١) : « وخطر لي في هذه القراءة وجه يخرج الفعل من بنائه للمفعول ، وعن ادغام النون في الجيم ، ولا يخرجه عن قياس العرب ، وهو ان يكون القارئ : نجي ، أراد : ننجي مفتوح النون مشدد الجيم ، فحذف النون الثانية كراهة توالي مثلين متحركين ، كما حذف التاء من قرأ : تذكَّرون ، خفيف الذال ، حذف التاء الثانية من تتذكرون ، وكما حذفوا بإجماع التاء الثانية من تتنزل ، وقرأوا كلهم : تنزل الملائكة والروح » .

١٤ — مضارع وزن « أَفعَلَ » . واصل كراهة توالي الامثال هنا في المضارع المسند الى ضمير المتكلم ؛ اذ الاصل فيه « أؤكرم » فصار بعد حذف أحد المقطعين المتماثلين « أكرم » ثم حملت باقي صيغ المضارعة على هذه الصيغة ، طردا للباب على وتيرة واحدة . وقد فطن الى ذلك أبو العباس المبرد ، فقال في كتابه « المقتضب » (٢/٩٧) :

« أكرم يكرم ، وأحسن يحسن . وكان الأصل : يؤكرم ، ويؤحسن ، حتى يكون على مثال : يدحرج ؛ لأن همزة أكرم مَزِيدَة ، بحذاء دال دحرج ، وحق المضارع أن ينتظم ما في الماضي من الحروف ، ولكن حذفت هذه الهمزة ؛ لأنها زائدة ، وتلحقها الهمزة التي يعني بها المتكلم نفسه ، فتجتمع همزتان ، فكرهوا ذلك وحذفوا اذ كانت زائدة ، وصارت حروف المضارعة تابعة للهمزة التي يعني بها المتكلم نفسه ، كما حذفوا الواو التي في (يعد) لوقوعها بين ياء وكسرة . وصارت حروف المضارعة تابعة للياء » .

وقال ابن جني في كتابه « المنصف » (١/١٩٢) : « قولهم : أنا أكرم ، حذفوا الهمزة لتي كانت في (أكرمَ) ؛ لئلا يلتقي همزتان ؛ لانه كان يلزم : أنا أؤكرم ، فحذفوا الثانية ، كراهة اجتماع همزتين ، ثم قالوا : نكرم وتكرم ويكرم ، فحذفوا الهمزة ، وان كان لو جاءوا بها ، لما اجتمع همزتان ، ولكنهم أرادوا المماثلة ، وكرهوا ان يختلف المضارع ، فيكون مرة بهمزة ، وأخرى بغير همزة ، محافظة على التجنيس في كلامهم » .

كما يقول شارح مراح الارواح (٥٧) : « وانما حذفت الهمزة من تُكرم ، لاجتماع الهمزتين في أؤكرم ، فإنه مستكرَه » .

ويقول أبو البركات ابن الانباري في الانصاف (١٤٨) : « وكذلك قالوا : أكرمُ والاصل فيه : أؤكرم ، فحذفوا احدى الهمزتين استثقالاً لاجتماعها ، وقالوا : نكرم وتكرم ويكرم ، والاصل فيها : نؤكرم وتؤكرم ويؤكرم ... فحذفوا الهمزة - وان لم يجتمع فيها همزتان - حملاً على أكرم ؛ ليجري الباب على سنن واحد » .

وقد يضطر بعض الشعراء الى استخدام الأصل الذي لاتتوالى فيه الامثال ؛ مثل قول ليلى الاخيلية (المنصف ١/١٩٢ وانظر ديوانها ق ٢١/٤ ص ٥٦) :

تدلّت على حصٍّ ظماء كأنها ... كرات غلام في كساء مؤرنب

ومثل قول الآخر (المنصف ١/١٩٢) :

وصاليات ككما يُؤَثْفَيْن

وقول الثالث (المنصف ١/٣٧ ، ١/١٩٢ والانصاف ٧ ، ٤٨ ، ٤٦١) :

فإنه أهل لأن يؤكرما

وقد نسب العيني هذا الرجز الاخير لأبي حيان الفقعسي أو غيره ، فقال في شرح الشواهد الكبرى (هامش خزانة الأدب ٤/٥٧٨) : « قد مرّ الكلام عليه مستوفى في شواهد النعت ، وفي شواهد نوني التوكيد » . وهو يقصد بذلك قوله (٤/٨٠) :

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوان والشجاع الشجعما

وقوله (٤/٣٢٩) :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخاً على كرسيه معمما

وقد وهم في ذلك العيني ، اذ لم يتقدم البيت في القصيدة التي رواها لأبي حيان الفقعسي (٤/٨٠) . وقد رد عليه البغدادي في « شرح شواهد الشافية » (٤/٥٨) ، فقال : « وانشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون : فإنه أهل لأن يؤكرما ، على انه شاذ ، والقياس : يكرمُ ، بحذف الهمزة . وهذا المقدار اورده الجوهري في صحاحه في مادة (كرم) غير معزو الى قائله ، ولا كتب عليه ابن بري شيئاً في اماليه ، ولا الصفدي في حاشيته ، وهو مشهور في كتب العربية ، قلما خلا عنه كتاب . وقد بالغت في مراجعة المواد والمظان ، فلم اجد قائله ، ولا تتمته . وقال العيني : تقدم الكلام عليه مستوفى في شواهد باب النعت ، وفي شواهد نوني التوكيد . واقول : لم يذكره فيهما اصلا ، فضلا عن ان يستوفى الكلام عليه » .

١٥ — عبارة : وعَبَدَ الطاغوت » في قوله تعالى : « قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت » (المائدة ٥/٦٠) ، فقد عدّ لها ابن جني في « المحتسب » (١/٢١٤ - ٢١٦) عشر قراءات مختلفة ، احداها من جهة احمد بن يحيى ثعلب ، مبنية على كراهة توالي المقاطع المتقاربة في المخارج والصفات ، يقول (١/٢١٦) : « ومن جهته [أحمد بن يحيى] أيضاً :

وَعَبَدَ الطاغوت ، وقال : أراد عَبَدَةَ ، فحذف الهاء . قال : ويقال عبدة الطاغوت والاوثان ، ويقال للمسلمين عُبّاد » .

ومن الطريف ان الطبري يرى في تفسيره (١٠/٤٤١) أنه « لو قُرِئ : وَعَبَدَ الطاغوتِ ، بالكسر ، كان له مخرج في العربية صحيح » ثم يقول : « وإن لم استجز اليوم القراءة بها ؛ إذ كانت قراءة الحجة من القرأة بخلافها . ووجه جوازها في العربية أن يكون مراداً بها : وعبدة الطاغوت ، ثم حذفت الهاء للإضافة » .

كما يقول الفراء في « معاني القرآن » (١/٣١٤) : « وكان أصحاب عبد الله [بن مسعود] يقرأون : وَعَبَدَ الطاغوتِ ، على : فَعَلَ ، ويضيفونها إلى الطاغوت ، ويفسرونها : خَدَمَة الطاغوت . ولو قرأ قارئ : وَعَبَدَ الطاغوتِ ، كان صواباً جيداً ، يريد : عَبَدَةَ الطاغوت ، فيحذف الهاء ، لمكان الإضافة » .

والحقيقة أن التاء لم تحذف للإضافة ، كما يقول الطبري والفراء ، وإنما حذفت لكراهة توالي المقاطع المتقاربة في الصفات .

وقد تحير نولدكه Th. Nöldeke في معنى هذه الآية فظن فيها نوعاً من القلب ، وقال في الفصل الذي كتبه عن « لغة القرآن » في كتابه « مقالات جديدة في علم اللغات السامية » Neue Beiträge Zur Semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910 (ص ١٢/١٩) : « وهناك نوع من القلب في : من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ؛ فإن ترتيب الكلمات على حسب المعنى المراد يكون كالآتي : من عبد الطاغوت ولعنه ... الخنازير » !!

١٦ — ويشبه الآية القرآنية قول زهير (الصحاح (وعد) ١/٥٤٨) :

إن الخليط أجدوا البين فانجردوا   وأخلفوك عِدا الأمر الذي وعدوا

فقد قال فيه الجوهري : « أراد : عِدَةَ الأمر ، فحذف الهاء عند الإضافة » . وانظر

شرح مراح الأرواح ١١٦ وألف باء للبلوى ٤٢٦/١ واللسان (اغلب) ١٤٣/٢ (وعد) ٤٧٧/٤ .

* * *

تلك هي معظم أمثلة ظاهرة كراهة توالي الأمثال في العربية . ولا تقتصر هذه الظاهرة على العربية وحدها ؛ ففي الفصيلة السامية أمثلة لها مثال ذلك كلمة ܐܪܝܐ (ârya) في اللغة السريانية ، بمعنى « ليث » أصلها : (aryaya) . انظر كتاب موسكاتي :

S. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages (ص ٦٢) وكتاب بروكلمان Syrische Grammatik (ص ٤٢) .

ومن اللغات الاوربية مثلا كلمة : der Beamte بمعنى « الموظف » في الألمانية ؛ فأصلها der Beamtete . انظر : Der Sprach-Brockhaus ص ٦١ (يقول : eigentlich der Beamete; Lutherzeit.) ومثال ذلك أيضاً الكلمة الألمانية: Stipendium بمعنى « منحة دراسية » فهي مستعارة في القرن السادس عشر الميلادي من اللاتينية : Stipendium بمعنى « ضريبة » أو « صرف الأجور » . وهي مركبة في اللاتينية من كلمتين وأصلها : Stipi-pendium الكلمة الأولى : Stips بمعنى « مساعدة مالية » أو « تبرع » والثانية : Pendere بمعنى « صرف » انظر في ذلك :

F. Kluge Etymologisches Wörterbuch der deutschen Sprache برلين ١٩٦٠ (٧٥١) .

وليس الحذف هو السبيل الوحيد للفرار من كراهة توالي الأمثال في العربية ؛ بل هناك طريق آخر هو قلب أحدالصوتين المتماثلين صوتاً آخر يغلب أن يكون من الأصوات المتوسطة المائعة ، أو من أصوات العلة ، وهو ما يسمى بالمخالفة الصوتية Dissimilation وهناك طريق ثالث هو إيجاد فاصل بين الصوتين المتماثلين يخفف من ثقل اجتماعهما ؛ كما هو الحال في توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة ؛ إذ تزيد فيه اللغة العربية ألفا بين نون النسوة ونون التوكيد . وهذه الألف يسميها الصرفيون بالألف الفارقة .

وقـــد لخص جلال الدين السيوطي كل هذه الحالات الثلاث في كتابه « الأشباه والنظائر (١/١٨) أحسن تلخيص ، فقال (وهو يســـمى المخالفة بالقلب) : « اجتماع الأمثال مكروه ، وكذلك يفر منه إلى القلب أو الحذف أو الفصل ؛ فمن الأول : قالوا في دهدهت الحجر : دهديت ، قلبوا الهاء الأخيرة ياء ، كراهة اجتماع الأمثال . وكذلك قولهم في : حاحا زيد : حيحا زيد ، قلبوا الألف ياء لذلك . وقال الخليل : أصل (مهما) الشرطية : ماما ، قلبوا الألف الأولى هاء لاستقباح التكرير .. وكذلك دينار وديباج وقيراط وديماس وديوان ، أصلها : دنّار ودبّاج ودوّان ، قلب أحد حرفي التضعيف ياء لذلك . و لَبَّى أصله : لَبَّب ، قلبت الباء الثانية التي هي اللام ياء ، هرباً من التضعيف فصار لَبَّيَ ، ثم أبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار لبَّى .

« ومن الثاني : حذف أحد مثلي ظللت ومسست وأحسست ، فقالوا : ظلت ومست وأحست . وحذف إحدى الياءين من سيّد وميّت وهيّن وليّن . وقيل : وهو مقيس على الأصح . وقال ابن مالك : يحفظ ولا يقاس عليه ...

« ومن ذلك (الثالث) قال ابن عصفور : لم تدخل النون الخفيفة على الفعل الذي اتصل به ضمير جمع المؤنث ؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع المثلين ، وهو ثقيل فرفضوه لذلك ، ولم يمكنهم الفصل بينهما بالألف فيقولون : هل تضربنانْ ؛ لأن الألف إذا كان بعدها ساكن غير مشدد حذفت ؛ فيلزم أن يقال : هل تضربنَنْ ، فتعود إلى مثل ما فررت منه ، فلذلك عدلوا عن إلحاق الخفيفة وألحقوا الشديدة ، وفصلوا بينهما وبين نون الضمير بالألف ؛ كراهية اجتماع الأمثال ، فقالوا : هل تضربنانِّ » .

رمضان عبد التواب